بحوث في اللغة العربية: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ١٣ (خريف وشتاء ١٤٣٦ ـ ١٤٣٧هـ. ق/ ١٣٩٤ هـ. ش)، ص ٦١ ـ ٧٦

وسائل الإعلام ودورها في النهوض باللغة العربية في الجزائر
(الإعلام المسموع أنموذجاً)[1]

حياة عمارة ❖
مريم جلائي ❖❖

الملخص

لوسائل الإعلام دور حياتي في بناء المجتمع المسلم المعاصر، فهي شريك إستراتيجي في بثّ الوعي ونشر القيم الإسلامية، ومن هذا المنطلق تبرز أهمّية استثمار هذه الوسيلة الفعالة لصالح توعية المجتمع. وتعدّ اللغة العربية واحدة من أهمّ القضايا التي أضحت تطرح بحدّة في العالم العربي ـ بالنظر للوهن الّذي أصابها ـ لاسيما في ظلّ العولمة وتداعياتها على المجتمعات العربية. ومن ثمّ كان لابدّ من استغلال أمثل لوسائل الإعلام لأجل تدارك هذا الضعف وإنقاذ العربية من كلّ ما يواجهها من تحدّيات.

وعليه فيهدف البحث بالمنهج الوصفي ـ التحليلي إلى متابعة وتحليل دور وسائل الإعلام الجزائرية في ترقية ونشر اللغة العربية وأهمّ الصعوبات الّتي تعترضها انطلاقاً من ماضي الجزائر وحاضرها الثقافي.

وقد استخدمنا في هذه الدراسة مجموع بيانات ومعلومات تمكّننا من تحليل الظاهرة وإخضاعها للدراسة الدقيقة. ولأجل جمع هذه البيانات استعنّا باستبيانات وقمنا بمقابلات مع فئات مختلفة من المجتمع كما أجرينا سبراً للآراء. أمّا مجتمع الدراسة فيختلف باختلاف الأدوات المستعملة ؛ حيث شملت المقابلات نخبة من الإعلاميين والمثقفين (أساتذة، طلبة وإطارات) كما شملت مجموعة من المستمعين غير المثقفين. أمّا الاستبيانات فقد وجّهناها للعاملين بالمحطّة الإذاعية لولاية تلمسان ؛ ١ـ قسم الإدارة والإشهار ٢ـ قسم الأخبار ٣ـ قسم الإنتاج.

وقد مكّننا البحث من الوقوف عند واقع اللغة العربية في الجزائر، ودور الإعلام المحدود في نشرها. واقع يؤكّد أن اللغة العربية تعيش أزمة حقيقية، ما يستدعي التفكير الجدي في آليات عملية للنهوض بها، وكذا استغلال الرسالة الإعلامية بما يخدمها ويساهم في الارتقاء بها.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية في الجزائر، الإعلام المسموع، المجتمع الجزائري، الاستعمار الفرنسي، التغريب.

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٩٤/٣/٢٢هـ. ش ؛ تاريخ القبول: ١٣٩٤/١٢/١٧هـ. ش.

❖ أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة تلمسان ـ الجزائر. Email: bestaouiimene@yahoo.fr
❖❖ أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية بجامعة كاشان. Email: maryamjalaei@gmail.com

المقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية، وهي من العناصر الأساسية المسهمة في الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه، حيث تكتسي أهمّية بالغة بالنظر إلى طبيعة الوظائف التي تؤدّيها في سياقها الاجتماعي والتاريخي والسياسي والثقافي واللغوي، واللغة العربية من مكوّنات الثقافة العربية، وعنوان هوية المجتمع العربي والإسلامي، وقناة إيصال وتواصل بين الأجيال، فهي تنقل آثار الأجداد إلى الأبناء، وتحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد، وهي بذلك حلقة الوصل التي تربط ماضينا بحاضرنا ومستقبلنا. إنها تمثل خصائص الأمة، وقد كانت عبر التاريخ مسايرة لشخصية الأمّة العربية، تقوى إذا قويت، وتضعف إذا ضعفت. واللغة العربية ـ قبل هذا وذاك ـ هي لغة القرآن، وحاملة كلام الله، فهي عنصر أساسي في هويتنا الوطنية وطريقة تفكيرنا (وهي أخطر بكثير من أن تكون مجرّد أصوات لغوية تستعمل أداة للتواصل) لقد غدت العربية لغة تحمل رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى كان العرب نواتها الأساسية والموجهين لسفينتها، اعتبروها جميعاً لغة حضارتهم وثقافتهم فاستطاعت أن تكون لغة العلم والسياسة والتجارة والعمل والتشريع والفلسفة والمنطق والتصوف والأدب والفن.

وكان المفروض أن يكون أبناء العربية على مستوى عظمتها وجلالها، يسعون للحفاظ على مكانتها ويعملون على إنمائها ونشرها، لكن شيئاً من هذا لم يحدث؛ فقد تقاعس أبناؤها على خدمتها وهجروها واستبدلوها بلغات أجنبية. وحتّى الإعلام لم يعن بها بشكل صحيح، فحلّت العامية محلّها. وكان من واجبه أن يسعى نحو تعميمها ليرتقي بها ويحوّلها من لغة الأمّية والجهل (العامية) إلى لغة العلم والحضارة (الفصحى).

فنهدف في الدراسة الحالية بالمنهج الوصفي ـ التحليلي تبيين دور وسائل الإعلام الجزائرية في ترقية ونشر اللغة العربية وأهمّ الصعوبات التي تعترضها انطلاقاً من ماضي الجزائر وحاضرها الثقافي؛ ويندرج تحت هذا الهدف التعريف بـ:

ـ أسباب أزمة العربية في الخطاب الإعلامي.

ـ دور الإذاعة في نشر اللغة العربية (كعيّنة عن وسائل الإعلام)

ـ ما هي أفضل السبل لتطوير وسائل الإعلام بما يتيح لها المساهمة في نشر اللغة العربية.

ـ محاولة الخروج بمجموعة توصيات يمكنها أن تساهم في نشر اللغة العربية.

وأما من أبرز الدراسات العربية التي تناولت العلاقة بين وسائل الإعلام واللغة العربية *فيمكن* الإشارة إلى ما يلي؛

ـ ضعف الأداء اللغوي في وسائل الإعلام، أسبابه وعلاجه لمؤلفه رشاد محمد سالم، ٢٠٠١ م.

ـ وسائل الإعلام ولغة الحضارة، للكاتب عبد العزيز شرف، ١٩٨٩ م.

ـ اللغة والتعريب ودور الإعلام، لفائز الصانع، ١٩٩٢م.

ـ أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية، للباحث جابر قميحة، ١٤١٨م.

ولا يفوتنا أن ننوّه بالدراسة التي أجراها الباحث حسين قادري (٢٠٠٤م) حول "**دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر**" وقد قام بمتابعة وتحليل دور الإعلام ـ بأنواعه ـ في تعميم اللغة العربية بالجزائر. وإذا كان الباحث قد خصّ بدراسته الصحافة المكتوبة فإن بحثنا يتناول الإعلام المسموع، على أن كلاّ من البحثين يحاول إبراز أهمية وسائل الإعلام وما مدى إسهامها في نشر اللغة العربية وتطويرها من خلال استقراء واقع الأمة الجزائرية.

كما لاحظنا عدداً من الدراسات الاختصاصية عن الإعلام واللغة العربية يتبيّن لنا أن موضوع بحثنا وذلك دور وسائل الإعلام المسموع تحديداً في إحياء اللغة العربية في الجزائر لم يحظ بما يستحقه من دراسة واهتمام ؛ فتحاول الدراسة الحالية قدر المستطاع سدّ النقص في هذا الجانب.

وتشمل الدراسة مقدّمة وخاتمة تتوسطهما مباحث ؛ هي كالتالي ؛ المبحث الأوّل: اللغة العربية في الجزائر بين التغريب والتهميش، المبحث الثاني: الإعلام بأنواعه وأثره في النهوض باللغة العربية. المبحث الثالث: اللغة العربية في الإعلام الجزائري بين الواقع والمأمول، والمبحث الرابع: الدور المقترح لوسائل الإعلام في مواجهة زحف اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية.

وقد استخدمنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي ـ التحليلي الذي يهتمّ بوصف الظاهرة وتصويرها عن طريق جمع بيانات ومعلومات تمكّننا من تحليل الظاهرة وإخضاعها للدراسة الدقيقة. ولأجل جمع هذه البيانات استعنّا باستبيانات وقمنا بمقابلات مع فئات مختلفة من المجتمع كما أجرينا سبراً للآراء. أمّا مجتمع الدراسة فيختلف باختلاف الأدوات المستعملة ؛ حيث شملت المقابلات نخبة من الإعلاميين والمثقفين (أساتذة، طلبة وإطارات) كما شملت مجموعة من المستمعين غير المثقفين. أمّا الاستبيانات فقد وجّهناها للعاملين بالمحطّة الإذاعية لولاية تلمسان ؛ ١ـ قسم الإدارة والإشهار ٢ـ قسم الأخبار ٣ـ قسم الإنتاج.

٢ـ اللغة العربية في الجزائر بين التغريب والتهميش

حين احتلّ الفرنسيون الجزائر كانت اللغة العربية هي لغة التعليم في المدارس والزوايا والمساجد، وهي اللغة الأدبية التي تؤلف بها الكتب والبحوث، وهي أداة التعامل في المحاكم الشّرعية والمراسلات الرسمية، بها توثق عقود الأوقاف والمواريث، وتكتب حاضر المداولات الإدارية والمنازعات في كل أنحاء القطر (العربي الزبيري، ٢٠٠٦م، ص٣).

وقد اهتمّ الفرنسيون باللغة العربية كونها لغة الشعب الجزائري الذي يعملون على استعماره والسيطرة عليه، ومعرفة آدابه وتفكيره وماضيه. وقد اعتمدوا منذ اللحظة الأولى للاحتلال على التّرجمة وعلى دراسة اللغة العربية ؛ لأنهم كانوا يوقنون أنهم بدون ذلك لا يمكنهم معرفة الجزائريين ولا النجاح في التعامل معهم وفرض سلطانهم عليهم، ثمّ ما لبث المحتل أن أفصح عن نواياه المبيّتة للقضاء على اللغة العربية في الجزائر حين أصدر في عام ١٩٣٨م قراراً يعتبر اللغة العربية لغةً أجنبيةً في الجزائر لا يجوز تعلّمها وتعليمها إلا على هذا الأساس. وكان ذلك جانباً من الحرب الصليبية التي شنّها رجال الاحتلال الفرنسي والمبشّرون المسيحيّون ـ وهم الطليعة الأولى للاستعمار الأوروبي في الأقطار العربية الإسلامية ـ على اللغة العربية والدين الإسلامي، والقرآن الكريم، والثقافة العربية الإسلامية طيلة وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

لقد كان الاستعمار والمبشّرون يعتقدون جازمين أن نجاحهم في القضاء على اللغة العربية سوف يسهّل لهم القضاء على الإسلام، فاللغة العربية هي المقوّم الرئيسي للشخصية الوطنية العربية والإسلامية في الجزائر، ولذلك كان الصراع محتدماً بين رجال التعليم العربي الحرّ من جهة، وبين الإدارة الاستعمارية ورجال التبشير المسيحي من جهة أخرى طيلة قرن واثنتين وثلاثين سنة (١٨٣٠م ـ ١٩٦٢م) (الإبراهيمي،٢٠٠٧م، ص٢٤).

يصوّر لنا الشيخ الإبراهيمي هذه الحرب الصليبية التي شنّتها فرنسا على الإسلام واللغة العربية في الجزائر فيقول: "**مشكلة العروبة في الجزائر أساسها وسببها الاستعمار الفرنسي، وهو عدوّ سافر للعرب وعروبتهم ولغتهم، ودينهم الإسلام، وبيان ذلك مع الإيجاز أن الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة، فهو منذ أن احتلّ الجزائر عامل على محو الإسلام ؛ لأنّه الدّين السماوي الذي فيه من القوّة ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو اللغة العربية لأنّها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة لأنها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدّية إلى ذلك ظاهرة وخفيّة،**

سريعة ومتأنّية، وأوشك أن يبلغ غايته بعد قرن من الزمن متّصل الأيّام واللّيالي في أعمال المحو لولا أن عاجلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأس القرن بالمقاومة لأعماله والعمل على تخييب آماله" (البصائر، ١٩٤٨م، العدد٤١). وبالرغم من أن المحتلّ قد استطاع أن يفرض أحكامه وقوانينه الجائرة بالقوّة، وتمكّن أن يخفي الإرث العربي الإسلامي ويشلّه زمناً طويلاً إلا أنّه لم يتمكّن من القضاء عليه وإتلافه (ينظر: شريبط، ١٩٨٣م، ص٥٤)، ذلك لأنّه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعاني الكينونة والهويّة؛ كينونة الشعب الجزائري وهويّته. هذا الأخير الذي ظلّ صامداً أمام جبروت المحتلّ يردّ مكائده وافتراءاته التي تنكر عليه جنسه ولغته وقوميّته، لاسيما وقد كان زعماء الإصلاح يشدّون أزره ويدعونه إلى إحياء اللغة العربية وبعث الدين الإسلامي بعثاً جديداً. يقول الشيخ الإبراهيمي: "**اللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة بل هي في عقر دارها وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدّة الجذور مع الماضي، مشتدّة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين، ترحل برحيلهم، وتقيم بإقامتهم. فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح مادام الإسلام مقيماً لا يتزحزح ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس وتنساغ في الألسنة واللّهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه يزيدها طيباً وعذوبة أن القرآن بها يتلى وأن الصلوات بها تبدأ وتختم**" (الإبراهيمي، ٢٠٠٧، ص٢٢١)، ولأن اللّغة العربية كذلك، ولأنها تمثّل إحدى أهمّ ركائز الأمّة ومقوّماتها، كان لها على الشعب الجزائري حقّان؛ حقّ من حيث أنها لغة دين الأمّة بحكم أن الأمّة مسلمة. وحقّ أنها لغة جنسها بحكم أن الأمّة عربية الجنس. وفي المحافظة عليها محافظة على الجنسية والدّين معاً يقول: "**اللّغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ومن ثمّ فهي لغة المسلمين الدّينية الرّسمية ولهذه الأمّة الجزائرية حقّان أكيدان كلّ منهما يقتضي وجوب تعلّمها فكيف إذا اجتمعا؛ حقّ من حيث أنّها لغة دين الأمّة بحكم أنّ الأمّة مسلمة، وحقّ أنّها لغة جنسها بحكم أنّ الأمّة عربية الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معاً**" (المصدر نفسه، ص٢٤).

ولقد رأى المصلحون بثاقب بصيرتهم أن إنقاذ الجزائر من خطر الفرنسة، والتنصير، إنّما يكون عن طريق واحد فقط، هو العمل على إحياء اللّغة العربية وإنقاذها من التغريب، حتى تعود لها مكانتها في الجزائر كلغة ثقافة وعلم وأدب. ولم تكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الوحيدة التي أخذت على عاتقها مهمّة الدفاع عن اللغة العربية بالجزائر، بل ثمة أحزاب سارت على النهج ذاته، منها حزب نجم شمال إفريقيا الّذي اهتمّ للّغة العربية ـ رغم أنّه أنشئ في فرنسا ـ اهتماماً واضحاً. وقد نادى بإنشاء المدارس العربية. ثمّ أصدر حزب الشعب الجزائري الذي قام على أنقاض النجم سنة ١٩٣٧م مرسوماً يجعل تعلّم اللغة العربية إجبارياً في جميع مستويات التعليم على غرار الوضع في تونس والمغرب وفي المشرق العربي أيضاً. وقد سارت حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي تأسّست سنة ١٩٤٦م على الأسس ذاتها بالنسبة للغة العربية. ولم تحلّ سنة ١٩٦٢م ـ سنة الانعتاق والتخلّص من ربقة الاستعمار ـ إلا والمجتمع الجزائري بأسره يؤمن أن الرجوع إلى أصالته وهويّته لن يتمّ إلا من خلال الاستعمال الموسّع للغة العربية لاسيما وقد اعتبرها الدستور الصادر سنة ١٩٦٣م اللغة الرسمية في الجزائر (الشبكة العنكبوتية؛ ويكيبيديا).

وكان يفترض ـ بموجب القانون ـ أن تعمّم اللغة العربية في سائر المؤسّسات الحكومية والشّعبية، لكن شيئاً من هذا القبيل لم يتحقّق، وظلّت الفرنسية تسيطر على الأذهان والألسن ردحاً من الزمن، وظلّت اللغة العربية تواجه ظاهرة التّهميش من أبنائها بعد أن كانت تجابه التغريب من قبل المحتلّ الغاشم، إلى أن صدر قانون التعريب سنة ١٩٩٠م الذي يفرض تعميم استعمال اللغة العربية في كافة الإدارات والتعاملات الرسمية وغير الرسمية. وكان يمكن للتّعريب أن يجد طريقه الصحيح، وأن يتجسّد على أرض الواقع، خاصّة وأنّه كان قد حقّق نتائج جدّ إيجابية في المدرسة الابتدائية، وانتقل إلى الثانوية في انتظار الوصول إلى الجامعة. لكن التّغريبيين ـ والسلطة الفاعلة إلى جانبهم كانوا له بالمرصاد، حيث جنّدوا كل ما لديهم من طاقات لعرقلة المشروع، وحجّتهم في ذلك أنّ المدرسة

الأساسية[1] تعيد المجتمع الجزائري إلى الوراء، وأن العروبة والإسلام يعودان به إلى عصر الانحطاط (العربي الزبيري، ٢٠٠٦م، ص٥)، وهم يعتبرون أن العربية لغة ينبغي أن يقتصر دورها على الدّين والمناسبات الاجتماعية بشكل عام، وأنّها بحكم طبيعتها لن تفي باحتياجات العصر العلمية التكنولوجية؛ خاصّة أنّ المصطلح العلمي لا يعرف لغة معيّنة ومن ثمّ لا يهمّ مصدره. كما يؤكّدون أنّ استخدامها في التّعليم قد يؤدّي إلى منع الطلاب من إتقان لغة أجنبية ممّا يقيم بينهم وبين العلم والحضارة الحديثين حاجزاً قويّاً. زد على ذلك أن حركة التطوّر السّريع للعلوم وللمعارف المصحوبة، وبطء حركة التعريب تجعل الوفاء بكلّ ما يحتاجه الطالب والمدرّس من مصطلحات أمراً غير ميسور (فكار، ٢٠٠٨، ص١٠٤).

ظلّ الفرانكفونيون[2] يحاربون اللغة العربية إلى أن تمكّنوا من إصدار مرسوماً تشريعياً سنة ١٩٩٢م يجمّد قانون التّعريب. واستمرّ الحال كذلك إلى غاية سنة ١٩٩٦م حين أُسّس المجلس الأعلى للغة العربية، وكان الهدف من وراء تأسيسه هو إعادة بعث قانون التّعريب. لكن القانون ما لبث أن جُمّد مرّة ثانية في تحدّ صارخ للدستور الذي ينصّ ـ في مادته الثالثة ـ على أن العربية هي اللغة الوطنية والرسمية للجزائر. و'فرنس' المحيط الجزائري بحيث صارت واجهات المحلات ـ إلا ما ندر ـ تكتب بالفرنسية، وبها تصدر التعاملات الإدارية. بل الأمرّ من ذلك والأخطر أنّ التعليم الجزائري أصبح مفرنساً، وأن الجامعات ـ لاسيما ذات التخصصات العلمية ـ أصبحت تعتمد اعتماداً كلّياً على اللغة الفرنسية، ما يؤكّد أن المشروع السياسي قد فشل في كسب الرّهان اللغوي، ليتحوّل هذا الأخير إلى أزمة لغوية حقيقية جعلت من التّواصل اللغوي شتاتاً من المفردات التي تجمع بين العربية، والعامية، والفرنسية، واللهجات البربرية. "**ويعود السبب في تواجد هذا الواقع اللغوي الخاصّ إلى أن الثنائية ـ عربية / فرنسية ـ المنجرّة عن تدمير البنية الثقافية الأصلية للمجتمع الجزائري من جرّاء الوجود الاستعماري أساس المشكلة اللغوية المعيشة منذ الاستقلال. إنّها سبب ظهور انقسام اجتماعي على أساس ثقافي لاسيما على مستوى النخب. فالانقسام الثقافي المتأتّي من ممارسة لغوية قائمة على ثنائية تنازعية أدّى إلى اهتزاز المرجعيات المشتركة للمجتمع، لتتحوّل إلى أداة توتّر اجتماعي وثقافي أو إلى وسيلة منتجة لسوء الانسجام في المجتمع**" (سعدي،٢٠١٣م، ص٥)، فالمتتبع لواقع الثقافة الجزائرية لاسيما في بُعدها اللّغوي يلاحظ أنها ذات أبعاد مختلفة فهي عربية إسلامية أمازيغية، متوسطية، إفريقية؛ ورغم ذلك تضعف فيها أبعاد معيّنة وتقوى أخرى على مستوى الانفتاح الثقافي والتثاقف، وفي الوقت الّذي ينتظر فيه الاستفادة من جميعها نلاحظ غلبة التوجه المتوسطي فيها والفرنسي بالخصوص. ولهذا يحتدم الصراع بين معرَّبين ومفرنسين، ما أدّى إلى الأزمة اللغوية في الجزائر (غربي،٢٠١٠، ص ٦٦)، أزمة حقيقية نابعة من مبدأ رفض الآخر أو محاولة إلغائه، وعاكسة لثنائية فشلت كلّ السياسات في تحقيقها؛ هي ثنائية: اللغة والهوية الوطنية في المجتمع الجزائري.

٣ـ الإعلام بأنواعه وأثره في النهوض باللغة العربية

اتّخذ الإعلام في عصرنا الحاضر صوراً عديدةً وأشكالاً مختلفةً لاسيما في ظلّ التطور العلمي والتقني الكبير، مما جعله يتبوّأ حيّزاً مهمّاً في حياة المجتمعات، بحيث أصبح يشكّل جانباً حيوياً في يومياتهم. هذه الوسائط تستخدم في مجالات تعزيز القيم الروحية والتأثير السياسي والثقافي والاجتماعي على الناس، كما أنّها تقوم بدور هام في التقارب بينهم (معوض،٢٠٠٠م، ص١٧٣)، وهي إلى

---

[1]. المدرسة الأساسية تهدف إلى إعادة تكوين الإنسان الجزائري وفق أسس تربطه بأصالته المتمثلة في العروبة والإسلام.

[2]. الفرانكفونيون هم الجزائريون الذين تعلّموا في المدارس الجزائرية باللغة الفرنسية، وهم يستعملون اللغة الفرنسية في تعاملاتهم الرسمية والاجتماعية.

جانب هذا وذاك تمثّل قناة حيوية لتطوّر وانتشار اللغات فـ "**عن طريق هذه الأجهزة والأدوات يتخاطب النّاس الأفراد والجماعات ويتبادلون الآراء والخبرات وينقل بعضهم إلى بعضهم الآخر المعارف والأفكار**" (سعد الدين، ١٩٩٥م، ص١٠).

وتعدّ اللغة إحدى الركائز الأساسية لوسائل الإعلام بأنواعها، إذ لا يمكن لهذه الأخيرة أن تؤدّي وظيفتها إلا عن طريق اللغة التي هي وسيلة للتواصل وأساس للتعبير إذ "**تؤكّد الحقائق أنّه من الصعوبة بما كان أن تضطلع أيّ من أجهزة الإعلام سواء كانت سمعية أم بصرية أم مقروءة أم شفهية بالدور المنوط بها دون استخدام رموز اللغة**" (الصانع، ١٩٩٢م، ص١٦١)، فالإعلام لا يمكن أن يجد التربة الخصبة الّتي ينمو فيها والمجال الّذي يمارس فيه نشاطه بدون لغة تصوغ رسائله وتنقل الأفكار الّتي تتضمّنها، كما أنّ اللغة الإنسانية ستؤول إلى الزوال دون الاتّصال بين أفراد المجتمع البشري عن طريق وسائل الإعلام الّتي تعطي هذه اللغة قيمة وتعطي لرموزها معنى.

واللّغة ـ وخصوصاً اللغة الإعلامية ـ من الأمور الّتي يرى كلّ فرد نفسه (المرسل ـ المستقبل) مضطراً إلى الخضوع لما ترسمه، وكل خروج عن نطاقها و لو كان عن خطأ أو جهل يلقى من الرأي العام مقاومة تكفل رد الأمور إلى نصابها الصحيح، وتأخذ المخالف ببعض أنواع الجزاء (شرف، ١٩٩١م، ص٩)، ذلك لأن اللغة الإعلامية تشكّل في النهاية جزءاً من النظام اللغوي العام السائد. فإذا اتّخذت هذه اللغة منحى مختلفاً عن النظام اللغوي العام، فإنّ مصير هذه اللغة، لن يكون إلا الرفض من قبل المتلقي.

ثمّ إن تحديد مفهوم اللغة الإعلامية لا يستغني عن نتاج الدراسات اللغوية بمختلف ميادينها، إذ تمدّها بما تهتدي إليه من ظواهر لغوية، وما تكشفه من بحوث فنّية تفيد في دراسة لغة الإعلام وتهذيب ألفاظها وتوسيع نطاقها وترقية مفرداتها وإدخال مفردات جديدة على مفرداتها، وتدعيم خصائص هذه اللغة الإعلامية من تبسيط وسلامة ووضوح، واقتراب شديد من لغة الواقع الحي المثقف دون إسفاف أو هبوط إلى العامية. وفي الوقت نفسه يمكن لعلم اللغة أن يفيد من اللغة الإعلامية؛ ذلك لأن علاقة اللغة الإعلامية بعلم اللغة هي علاقة تأثير وتأثر. وعلاقة التأثير بين اللغة الإعلامية وعلم اللغة هي علاقة التنمية اللغوية، فوسائل الاتّصال الإعلامية تساهم في نشأة كلمات لم تكن موجودة في اللغة من قبل، وفي هجر كلمات كانت مستخدمة فيها أو انقراضها انقراضاً تاماً. ذلك أن وسائل الاتّصال الإعلامية تعكس أهمّ العوامل التي تدعو إلى نشأة كلمات في اللّغة، كمقتضيات الحاجة إلى تسمية مستحدث اجتماعي جديد، سواء أكان نظاماً اجتماعياً أم اقتصادياً، أم نظرية علمية جديدة أو فلسفية أو مخترعاً مادياً جديداً، لكن إذا كانت هذه العلاقة الجدلية ـ إن جاز لنا التعبير ـ من الأهمّية بما كان للحفاظ على اللغة من جهة ولنجاح وسائل الإعلام في أداء مهامها من جهة ثانية، فماذا عن واقع اللغة العربية في إعلامنا اليوم؟ وما محلّها منه؟ (الصانع، ١٩٩٢م، ص١٦١).

يجب أن نشير بادئ ذي بدء إلى أن اللغة العربية ليست كياناً جامداً لا حياة فيه، وإنّما هي أشبه ما يكون بالكائن الحي الذي ينمو ويتطوّر، كما يكون عرضة في أوقات الضعف والانكسار للوهن والضعف، كما يجب أن نؤكّد أنّ اللغة العربية وعلى الرّغم من الظروف الّتي مرّت بها، والمتغيّرات التي عرفتها استطاعت أن تحافظ على هويّتها، ويعود ذلك إلى عاملين اثنين؛ أوّلهما: ارتباطها بالقرآن الكريم، فهي وعاؤه العظيم، وهي أداؤه التعبيري المعجز، وارتباط النّاس بها لا يمثّل مجرّد ارتباط بلغة بل هو ارتباط بالدّين الحنيف. وثانيهما: طبيعتها الذاتية، وكثرة مفرداتها، والروافد التي تغذّيها وتجدّد نسيجها مثل القياس والاشتقاق والنحت والمجاز، ممّا ينفي عنها تهمة التحجّر والعجز (قميحة، ١٤١٨، ص١٧٠).

واللغة ـ أية لغة ـ ليست أداة تخاطب وتعبير فقط، وإنّما هي عملية تصوّر نفسي ومنهج تفكير عقلي معقّد، وهي بذلك تمثّل هويّة الإنسان وأهمّ مقوّمات كيانه، وبدون هذه الهوية يغدو الإنسان كشجرة بلا جذور تهوي عند هبوب أيّة ريح، لذا تحرص جميع الأمم الحيّة الراقية على رعاية لغاتها وتطويرها وإكسابها لبنيها وبناتها على أتمّ شكل ممكن وفق أفضل الأساليب العلمية

والتقنية الحديثة التي يُعدّها المختصون الأكفاء، وما ذلك إلاّ لأنّ الصلة بين الأمّة ومكانة لغتها وطيدة جدّا فثمة رباط جدلي صائب بين حضارة الأمّة ومكانة اللغة (شرف، ٢٠٠٠م، ص١٢).

وإذا كان للإعلام أثر كبير في الحياة اللغوية كما ذكرنا آنفاً، واللغة كما هو معروف تكتسب بالسماع والمحاكاة، فإنّ أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية حين تلتزم العربية السليمة تصبح أحسن مصدر لتعليم اللغة ومحاكاتها والتقريب بين اللغة السليمة واللغة المحكية. و"**تعدّ اللغة العربية من أصلح اللغات، وذلك لأنها تتمتع (بالدينامية) أو الحركية التي تجعلها كذلك، وتمنحها طواعية**" (عبد الحليم، ٢٠٠٢م، ص١١) وقد اكتسبت اللغة الإعلامية هذه المرونة "**من امتياز الفصحى بالعمق الذي يجعلها تنبض بالحياة، والذي يجعلها تقوم على الترجمة الأمينة للمعاني والأفكار، والاتّساع للألفاظ والتّعبيرات الجديدة التي يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع**" (شرف، ١٩٩١م، ص ٨)، ما يعني أن اللغة العربية تتمتّع بخصائص إعلامية تتّفق مع غايات الإعلام الحديث من حيث أنه أداة وظيفية وليست فنّاً جمالياً يقصد لذاته. وهو ما يدحض دعاوى من يتّهمونها بالقصور في النهوض بلغة الإعلام، ويشيعون أن العامية هي لغة التفاهم والتداول بين أبناء الوطن. بل إنّنا نذهب لأبعد من ذلك حين نؤكّد أنّ الدعوة إلى استخدام العامّية سيزيد الشعوب العربية تفرّقاً، وأن اللغة العربية الفصحى هي اللغة الوحيدة التي يلتقي عندها أهل العربية في جميع أقطارهم يتكلّمون ويكتبون بها، وأن استخدام اللغة العربية الفصحى الموحدة في صحافتنا ـ سمعية وبصرية ومقروءة ـ يساعد إلى حد بعيد على توحيد رؤانا ونظراتنا وأفكارنا وتطلّعاتنا وعلى صهرها في بوتقة قومية عربية مشتركة. فإذا التزم رجال الإعلام بالقواعد اللغوية الصحيحة وحرصوا على اتّخاذ الفصحى لغة حديث وكتابة يقدّمون بها برامجهم ويكتبون مقالاتهم وأحاديثهم ويعبّرون بها عن مختلف الأمور والمجالات فقد استطاعوا بذلك أن يحافظوا على الوحدة العربية وعلى اللغة العربية الّتي هي لغة إعلامية بامتياز، تستطيع أن تتكيّف بسلاسة مع نسق الفنّ الإعلامي بمفهومه الحديث (المصدر نفسه، ص١٣٣).

على أن ثمّة إجماع على أنّ وسائل الإعلام لا تستخدم استخداماً مفيداً أو منتجاً في الوطن العربي، وأنّها إلى المتعة أقرب منها إلى الفائدة، وإلى إضاعة الوقت أقرب منها إلى الاستفادة من الوقت، وأنّها إلى العمل السياسي أقرب منها إلى العمل العلمي الأساسي الدائم (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٩٠م، ص٥٥). ولأجل تدارك الوضع والقضاء على المعضلة لابدّ من تخطيط سليم ومدروس وممنهج للارتقاء بالمستوى اللغوي للجماهير ولن يكون ذلك إلا عن طريق إعلام متكامل وفاعل، فما السبيل إلى تحقيق ذلك؟

إنّ عملية الإنماء اللغوي تتطلّب فرضَ رقابة مستمرّة تضمن للغة العربية ما يقيها من التّحريف وتجعلها دائماً على مستوى الرقي الفكري في كلّ جيل من الأجيال (سالم، ٢٠٠١، ص ٢٠)، إذ لابد لوسائل الإعلام أن تحسن اختيار اللفظ والعبارة وتراعي الكلمات الصّحيحة التي يسهل على الجماهير استيعابها وفهم مقاصدها، والابتعاد عن الألفاظ الوضعية الغربية غير المألوفة وعدم التكلّف في صياغة النصوص الإعلامية ومراعاة مستوى إفهام هذه الجماهير حتى يقبلوا على اللغة العربية الصحيحة ولا ينفروا منها، وفي الوقت نفسه الابتعاد عن الألفاظ المبتذلة وكذا الإسفاف واختيار الكلمات الهابطة لعرض المعاني، بهدف الارتقاء بمستوى الجماهير ورفع مستوياتهم اللغوية وملكاتهم الفكرية.كما لابدّ أن نبتعد عن استعمال العامية التي طغت على وسائل الإعلام العربية، مساهمة بذلك في إيذاء اللغة العربية والترويج للأفكار والألفاظ التي تحرّف كلماتها وتغيّر معانيها. وعلى الأجهزة الإعلامية أن تساهم كذلك في الارتقاء بمستوى اللهجات العامية التي تقدّم بها البرامج بحيث تصبح الألفاظ الفصحى وتعبيراتها أكثر تداولاً على الألسنة تمهيداً لتعميم استعمال اللغة العربية الفصحى في جميع البرامج ؛ إذ إنّ هذه اللغة الفصحى هي الأساس للثقافة العربية،

وتعميم استعمالها يمكّننا من مخاطبة جمهور أوسع (عبد الحليم، ٢٠٠٢م، ص١١)، ثمّ إنّ اتّجاه الأجهزة الإعلامية بمختلف أطيافها إلى استعمال اللغة العربية إنّما يساعدها على الانتشار الواسع، وذلك في ظل الحركة الإعلامية التجارية وخصخصتها، فالهمّ التجاري يمكن أن يتحقّق لهذه المؤسسات من خلال إحياء اللغة العربية، لأن ذلك معناه الوصول إلى أكبر شريحة من المجتمع العربي والتأثير فيه واجتذاب الجمهور لهذه المؤسسة أو تلك.

٤ـ اللغة العربية في الإعلام الجزائري بين الواقع والمأمول

ذكرنا في المبحث السابق أن وسائل الإعلام تعدّ مؤثراً مباشراً على لغات الناس وطريقة استعمالهم لها، وبالتالي فإنّ تطوير لغة هذه الوسائل هو في الحقيقة تطوير للغة في حدّ ذاتها. ويبرز دور الإذاعة في تطوير اللغة من خلال البرامج المختلفة، فقد يؤثّر برنامج إذاعي يُقدَّم في دقائق معدودة ما لا تؤثّره عشرات الكتب، إذ لا شك أن للكلمة المسموعة ما ليس للمكتوبة من تأثير، لسهولة متابعتها وعدم احتياجها إلى مهارة القراءة. والراديو من وسائل الاتّصال التي يمكنها الوصول إلى جميع السكان بيسر متخطّية كلّ الحواجز. فهو يصل إلى مختلف الفئات العمرية من المستمعين، ذكوراً وإناثاً، متعلّمين وغير متعلّمين، نخبة وسوقة، وغير ذلك من الجماعات التي يصعب الوصول إليها من قبل وسائل الإعلام الأخرى، هذا بالإضافة إلى السرعة الفائقة التي تنقل بها الرسالة الاتّصالية من جهاز الإرسال إلى جهاز الاستقبال، فالاتصال عن طريق الإذاعة لا يحتاج إلى وسيط، حيث تصل مباشرة من القائم بالاتصال الإذاعي إلى المستمع (شرف، ٢٠٠٠م، ص٧١).

وإيماناً منها بأهمّيته لجأت الجزائر إلى الإرسال الإذاعي قبل الاستقلال لإيصال صوت الثورة الجزائرية من جهة، ولحاجتها إليه كوسيلة فعالة لتوعية وتعبئة شعب ورث الأمّية عن الحقبة الاستعمارية من ناحية ثانية. كما عُدَّ البثّ الإذاعي منذ إنشائه إلى اليوم من أهمّ وسائل الإعلام في نشر وتعميم اللغة العربية بالجزائر وذلك لأسباب عدّة، لعلّ أهمّها أنّها تخاطب عامّة النّاس، فهي لا توجّه خطابها للنّخبة والمثقّفين فقط. بالإضافة إلى تنوّع برامجها التي تمسّ الحياة اليومية للمواطن، فبالرغم من ارتفاع نسبة الأمّية إلا أنّ الشعب كانت لديه قدرة استيعابية كبيرة للغة العربية الفصحى، وإن لم تكن له القدرة التعبيرية (بن عبد الله، ١٩٨٦م، ص٤٢).

إنّا إذا تتبّعنا المشهد الإعلامي في جزائر اليوم وجدنا مستويات لغويّة شديدة التباين، فإذا جهدنا ضبطها ميّزنا ثلاثة مستويات رئيسة: مستوى العربية الفصحى فيما نسمع من نماذج البيان قرآناً وحديثاً وأخباراً وتعليقاً ومقالات ومسلسلات تاريخية. ومستوى العربية الوسطى المتمثّل في مواقف المشابهة بين المتعلّمين والمثقّفين في وجوه الخطاب السياسي والاقتصادي والاجتماعي. ومستوى اللّهجات المحكية المتمثّل في مقابلات العامّة والمسلسلات العامية والحصص الترفيهية.

هذه المستويات ـ على تباينها ـ تتوزّع وفق شبكة برامجية تحدّدها المديرية العامّة للبثّ الإذاعي، وتشمل كافة الإذاعات الجزائرية: وطنية ومحلّية، ما يستوجب الوقوف عند تلكم الشبكة لنحدّد معالمها ونضبط النسبة المئوية لكلّ مستوى بما يعيننا على رسم صورة واضحة للإعلام المسموع بالجزائر ودوره في خدمة اللغة العربية.

التوزيع النسبي لمحاور شبكة البرامج الإذاعية ٢٠١٣ ـ ٢٠١٤ (عن قسم التنشيط والبرمجة ـ الإذاعة الوطنية بتلمسان)

الرقم	المحاور	المدة الأسبوعية بالدقائق	النسب المئوية
	المحور الإخباري و الرياضي	٢٦٤٠	٪ ٤١,٣٦
	المحور الاجتماعي و التربوي	٦٣٠	٪ ١١,٥٤
	المحور الثقافي ، التاريخي و الديني	٨٧٠	٪ ١٥,٩٣
	محور الترفيه و المنوعات و الخدمات	١٣٢٠	٪ ٣١,١٧
المجموع		٥٤٦٠	٪ ١٠٠

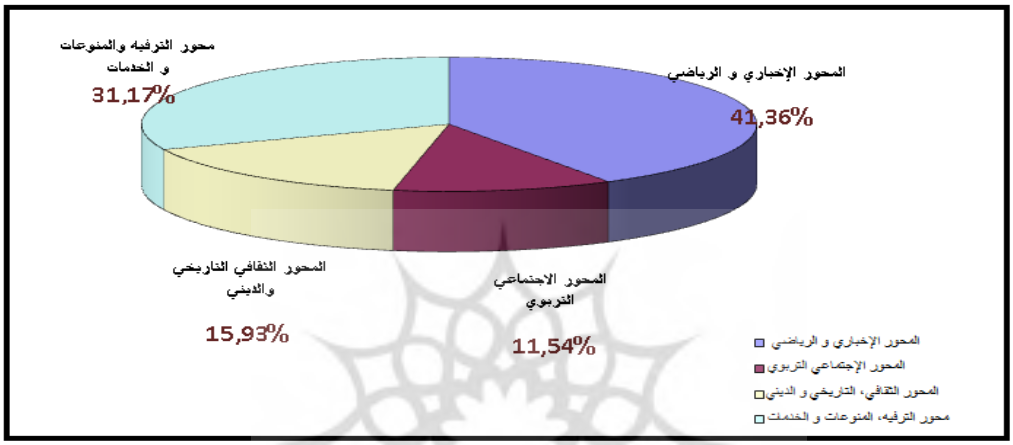

وبعملية حسابية نتحصّل على:

- ٧٠% برامج تفاعلية: حصص رياضية، حصص ترفيهية، حصص خدماتية، حصص اجتماعية وحتّى الحصص الإخبارية المباشرة. وهي تستعمل العامّية في مخاطبتها للجمهور، وهي بذلك تندرج ضمن المستوى الثالث.
- ١٥% برامج إخبارية: نشرات، حصص إخبارية، حصص ثقافية. وهي تبثّ باللغة العربية الفصحى غالباً، كما تستعين باللغة الوسطى أحياناً، ما يجعلها تندرج ضمن المستويين الأوّل والثاني.
- ١٥% برامج دينية وثقافية وتاريخية: قرآن كريم، حصص دينية، فتاوى، حصص تعليمية، وهي تقدّم باللغة العربية الفصحى، أي أنّها تندرج ضمن المستوى الأوّل.

وبجمع النوعين الثاني والثالث نجدهما يمثّلان ٣٠% من الشبكة البرامجية، وهو ما يفضي بنا إلى الاستنتاج بأنّ اللغة العربية لا تغطّي إلا ما يقارب الثلث من البرامج الإذاعية[١]. هذا في البرنامج السنوي العادي، أمّا في الشبكة الصيفية فتتغيّر النسب لتصبح على الشكل التالي:

[١]. هذه النسب تكاد تكون موحّدة عبر كافة المحطات الإذاعية الجزائرية مع اختلاف طفيف أحياناً في المحطات المحلية مراعاة لخصوصيات كلّ ولاية ومميّزاتها.

الشبكـة البرامجيـة الصيفيـة / الرمضانيـة ٢٠١٤

النسـب المئويـة لتوزيع البرامـج

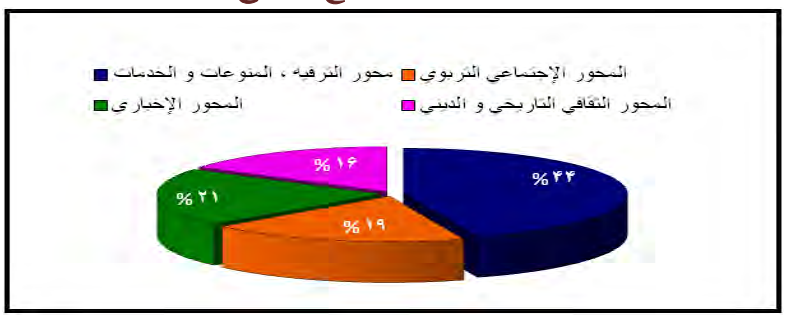

نلاحظ أنّ المحور الإخباري قد تقلّصت نسبته، علماً أنّه يستعمل المستويات الثلاثة للغة، بينما المحور الاجتماعي التربوي وكذا محور الترفيه والمنوّعات والخدمات قد عرفا زيادة في نسبتيهما، وهما يعتمدان المستوى الثالث للغة، فيما حافظ المحور الثقافي والتاريخي والديني على المستوى ذاته تقريباً، وهو يستخدم المستوى الأوّل.

وبالعودة إلى علاقة الإعلام باللغة العربية الفصحى ومدى خدمة الأوّل للثانية نقرّ بأن هذه النسبة تبقى بعيدة عن الأهداف المنشودة.

لكنّنا ألفينا تلك المستويات اللغوية تتّفق مع المستويات الخمسة التي حدّدها الدكتور سعيد بدوي حين تحدّث عن المجتمع اللغوي المتكامل والمتمثّلة في:

١ - فصحى التراث: وهي فصحى تقليدية غير متأثّرة بشيء نسبي.

٢ - فصحى العصر: وهي فصحى متأثّرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص.

٣ - عامية المثقفين: وهي عامية متأثّرة بالفصحى وبالحضارة معاً.

٤ - عامية المتنوّرين: وهي عامية متأثّرة بالحضارة المعاصرة.

٥ - عامية الأمّيين: وهي عامية غير متأثّرة بشيء نسبياً: لا بالفصحى، ولا بالحضارة المعاصرة (بدوي، ١٩٨٤، ص٨٩).

فهل هذا يعني أن الجزائر قد بلغت مستوى المجتمع المتكامل لغويّاً، وهل هذا التكامل يخدم اللغة العربية الفصحى أم يعيقها؟

للإجابة عن السؤال قمنا بدراسة ميدانية تطلعنا على حقيقة علاقة اللغة العربية بالإعلام المسموع في الجزائر. وقد اتّخذنا من الإذاعة الوطنية بتلمسان عيّنة عن الوضعية اللغوية للإعلام المسموع في الجزائر، إذ أقمنا استبياناً ـ بناء على زيارة ميدانية للصرح ـ يساعدنا على وضوح الرؤية. وكان قسم الإدارة والإشهار أوّل محطّة في زيارتنا، حيث أكّدت لنا القائمة على القسم أنّ المستوى اللغوي المستعمل هو المستوى "العامي" بالإضافة إلى اللغة الفرنسية، وأوعزت أسباب الظاهرة إلى الزبائن أنفسهم. فهؤلاء يصرّون على استعمال العامية والفرنسية بحجّة أن الجماهير لا تستوعب اللغة الفصحى وبذلك فهي تعرقل قانون العرض والطلب لاسيما وأن الإعلان يهدف أوّلاً وأخيراً إلى جلب الزبون وإرضائه (مقابلة شخصية مع مسؤولة قسم الإدارة والإشهار "الإذاعة الوطنية بتلمسان"ربيع الأوّل ١٤٣٥ه/ يناير ٢٠١٤م).

ثاني محطّة كانت قسم الأخبار (مقابلة شخصية مع رئيس تحرير قسم الأخبار "الإذاعة الوطنية بتلمسان" ربيع الأوّل ١٤٣٥هـ/ يناير ٢٠١٤م). هذا الأخير يعتمد في تحرير أخباره وإعداد برامجه على اللغة الفصحى. وهو يحاول أن يبتعد عن التعقيد والمبالغة، ويقدّم لغة سلسة بسيطة بعيدة عن البهرجة والزخرفة الفنّية والألفاظ الحوشية التي تمجّها أذن المستمع، لكنّها راقية تراعي ضوابط اللغة وقوانينها.

ومع ذلك فقد أكّد لنا رئيس التحرير بالقسم أن الصحفيين يضطرّون أحياناً إلى استعمال العامية، لاسيما في البرامج التفاعلية كـ"أحياء المدينة"، و"البلدية والتنمية". وذلك بغية التواصل مع المواطن الذي يبحث عن حيّز لطرح انشغالاته وإبداء آرائه.

ثالث محطّة كانت قسم البرمجة (مقابلة شخصية مع رئيسة قسم التنشيط والبرمجة "الإذاعة الوطنية بتلمسان" ربيع الأوّل ١٤٣٥هـ/يناير ٢٠١٤م). وقد أكّدت لنا المسؤولة عنه أن اللغة المستعملة هي "بين بين" فلا هي ترتقي إلى الفصحى ولا هي تنحطّ إلى العامية، هي لغة وسط، يفهمها العام والخاص، الأمّي والمتعلّم. وعن سؤال حول استعمال قسم البرمجة للغة الفرنسية في بعض الأحيان، كان الجواب أنّ ذلك إنّما يحدث إرضاء الفئة الفرانكفونية، وأنّ لغة الإذاعة لغة تخضع لأذواق النّاس وتسعى لإرضاء كافة شرائح المجتمع.

والحقيقة أنّ ظاهرة الأداء اللغوي وشيوع الأخطاء اللغوية واللجوء إلى العامية وازدواجية اللغة في وسائل الإعلام الجزائرية أصبحت تشكّل معضلة حقيقية تواجه اللغة العربية لاسيما في ظلّ العولمة والانفتاح الثقافي وسيطرة اللغات الأجنبية، ما يجعلنا نقرّ بأنّ الإعلام في الجزائر لازال في حاجة إلى خطوات عملاقة وجادّة للتّمكين للغة العربية في دولة عربية مسلمة يؤكّد دستورها أن اللغة العربية هي لغتها الرسمية.

وقد حاولنا حصر أسباب تراجع اللغة العربية في الإعلام الجزائري بمعيّة رئيس التحرير لقسم الأخبار (إذاعة تلمسان) الّذي أكّد لنا أنّها تتفرّع إلى أسباب داخلية وأخرى خارجية. فأمّا الخارجية فيمكننا إجمالها في:

١ - المناهج الدّراسية المعتمدة في كلّيات الإعلام الّتي تبقى هي المسؤولة بشكل مباشر عن ضعف اللغة العربية في وسائل الإعلام.

٢ - انعزال الصحافة عن المؤسّسات العلمية اللغوية أدّى إلى انحدار مستواها اللغوي، مع كونها من أهمّ وسائل التأثير في اللغة.

٣ - غياب القوانين الخاصّة بحماية اللغة العربية أو عدم تطبيقها (إن وجدت).

٤ - غياب الإرادة السياسية؛ فمعظم مسؤولي الدولة في الجزائر من خرّيجي المدرسة الفرانكفونية.

وأمّا الأسباب الداخلية فتتلخّص في:

١ - استبدال العامّية بالفصحى.

٢ - تطوير الفصحى حتّى تقترب من العامية.

٣ - الهجوم على الحروف العربية والدعوة إلى استعمال الحروف الأمازيغية أو حتّى اللاتينية.

٤ - إسقاط الإعراب في الكتابة والنطق.

٥ - غياب مدقّقين لغويين يدركون ما يصيب اللغة من تشويه وأخطاء.

وعلى النقيض من رئيس تحرير قسم الأخبار السيد توفيق بن سلامة الذي يرى أنّ اللغة العربية لازالت في حاجة لمزيد من العناية والاهتمام لتدارك هذا "الضعف" في الأداء، يؤكّد المنشّط رضا بن عصمان (مقابلة شخصية مع المنشط "الإذاعة الوطنية بتلمسان"٢٦ ربيع الثاني ١٤٣٥هـ/٢٦ فبراير٢٠١٤)، أنّ الإعلام المسموع بالجزائر يقوم بجهود جبارة لتعميم اللغة العربية وأنّه استطاع أن يخطو خطوات عملاقة في هذا الاتّجاه. ودليله في ذلك أن غالبية البرامج تقدّم بالفصحى عدا البرامج الّتي يتمّ فيها التواصل مع المستمعين عبر الأثير بطريقة مباشرة، بل حتّى تلك البرامج ـ يضيف المنشط ـ أصبحت تنحو نحو استعمال الفصحى؛ لأنّ المستمع تعوّد عليها وأصبح يفهمها بسهولة. وهكذا فقد تمكّن الإعلام المسموع من أن يُكسب المستمعين ملكة لغوية، أي مهارة في نطق اللغة العربية من غير علم بقوانينها، وهو ما يعرف بالحسّ اللغوي، أو التمكّن اللغوي التلقائي دون معرفة القواعد النظرية.

كما أشار ذات المتحدّث إلى البرامج التي تسعى إلى تعليم اللغة العربية كتلك التي يسهر على إعدادها وتقديمها من مثل برنامج "سحر الضاد" الذي يشمل مجموعة أسئلة حول اللغة العربية. وجواهر الكلم الذي يخصّ الألفاظ العربية غير المتداولة في عصرنا الحاضر. وقطوف دانية الذي يفسّر بعض الكلمات التي وردت في آي القرآن الكريم. ومع ذلك يعترف السيد رضا بن عصمان أنّ الإعلامي قد يجد نفسه مجبراً على استعمال العامية، نزولاً عند رغبة بعض المستمعين الذين يحبّذون أن يخاطبوا باللغة التي يسهل عليهم فهمها أحياناً، وسعياً منه لتنويع الأساليب الخطابية أحياناً أخرى.

وبالرّغم من هذا التباين بين الرأيين، إذ يرى الأوّل أنّ الإعلام يقصّر في خدمة اللغة العربية، في حين يرى الثاني عكس ذلك، فإنّه لا يمكننا أن نتغاضى عن الجهود المبذولة في الإعلام ـ لاسيما المسموع منه ـ إلاّ أنّها جهود تبقى في حاجة إلى دفع مستمرّ لتخطّي العقبات ومواجهة موجة الفرنسة ومجابهة الدعوة إلى استبدال العامّية بالفصحى.

على أنّه لا يمكننا أن نغفل إذاعة رائدة في الجزائر وهي إذاعة القرآن الكريم الدولية التي أطلقت سنة ١٤١٢هـ ـ١٩٩١م. وكان الهدف من إنشائها هو خدمة الدّين والوطن وبالتّالي خدمة اللغة العربية خاصّة وأنّها تقدّم دروساً ومواعظ وتلاوات عطرة، ما يجعل المستمع يتعوّد على اللغة الراقية الّتي تبثّ بها تلك البرامج، ولا أدلّ على ذلك من الإقبال المتزايد للمستمعين على هذه الإذاعة وبرامجها الهادفة دون أن تشكّل اللغة المستعملة أدنى عائق، وهي بهذا تمثّل نموذجاً عمليّاً إيجابياً لخدمة اللغة العربية الفصحى بالجزائر.

وبالعودة إلى الإذاعات المحلّية، وباعتبار الجمهور طرفاً أساساً في "المعادلة الإعلامية" كانت لنا معه وقفة في عملية لسبر الآراء شملت مختلف فئات المجتمع أفضت إلى النتائج التالية:

١ـ المثقّفون

أصرّت شريحة المثقّفين (طلبة، أساتذة، إطارات، موظّفين) على إلزامية استعمال اللغة الفصحى كونها تمثّل وعاء الحضارة العربية الإسلامية، وقد أكّدت أن الحلّ الأمثل هو استخدام لغة وسطى أو ما أطلقوا عليه مصطلح "لغة ثالثة" وهي لغة فصيحة بسيطة تحقّق التواصل مع الجماهير على نحو يجنّبها الأخطاء ويصل بها إلى أفضل النتائج.

٢ـ غير المتعلّمين

- النساء الماكثات في البيت أوضحن أنّهن يفهمن نشرات الأخبار والبرامج المقدّمة بالفصحى، بل إنّهنّ أكّدن أنّ تلك البرامج ساعدتهن على اكتساب رصيد لغوي هام.
- الرجال أعربوا عن تعلّقهم باللغة الفصحى ـ وإن كانوا لا يفقهون إلا القليل منها ـ كونها جزءاً من هويّة الأمّة.

إنّ عملية سبر الآراء الّتي قمنا بها مكّنتنا من التحصّل على النسب التالية:

-٦٠ % من مجتمع الدراسة أكّدوا تعلّقهم باللغة الفصحى و استمتاعهم بالاستماع إليها. وهم من المثقفين وغير المثقفين.

-١٥% يفضلون استبدالها بالعامية ليتمكّنوا من فهم البرامج الإذاعية. وهم من فئة غير المتعلّمين الّذين يجدون صعوبة في فهم اللغة الفصحى.

-٢٥% يطالبون بالاستغناء عن اللغة الفصحى وحجّتهم في ذلك أنّها لم تعد تساير متطلّبات العصر و مستجدّاته، وهؤلاء هم فئة الفرانكفونيين.

وهذه النسب تدحض ادّعاءات المطالبين بتعميم العامية على حساب الفصحى بدعوى التقرّب من المستمع ونقل انشغالاته، وتجعلنا نفكّر في سبل استثمار هذه الوسائل العصرية في تنمية اللغة العربية على ألسنة أبنائها ـ على مستوى الألفاظ، والتراكيب وسلامة النطق، وصحة الإعراب ـ على نحو علمي مدروس، يراعي المراحل العمرية المختلفة، ويهدف إلى التغيير اللغوي إلى الأفضل، ويأخذ بألسنة أبناء العربية حتى يصل بهم إلى اللغة الإبداعية؛ أي إلى المستوى الأعلى في الأداء اللغوي.

٥ـ الدور المقترح لوسائل الإعلام في مواجهة زحف اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية

إن أزمتنا اللغوية الحالية لا تعود إلى اللغة العربية باعتبارها نظاماً من الإشارات بقدر ما تعود إلى إشكالية تعامل أبنائها معها، هؤلاء الذين يحاولون إلقاء المسؤولية عليها ويرمونها بالضعف والتقصير في مواكبة مستجدّات العصر. وهو طرح ينافي الحقيقة مثلما يؤكّد المستشرق الألماني هورنباج الذي يرى أنّ "**اللغة العربية ليست ضعيفة البتّة ـ كما يدّعي العرب وغير العرب ـ ولا عاجزة عن مواكبة عصر التقنيات، فالتاريخ يرشدنا إلى أنّ اللغة العربية كانت لغة لأكثر من ثلث سكان المعمورة ولم تكن فقط لغة شعر أو نثر**" (القول لهورنباج نقلاً عن صفوان المقدسي، ١٩٧٦م، ص٦)، إنّ هذه الأزمة تدعونا إلى التفكير بجدّية في آليات عمليّة للنهوض باللغة العربية لتصبح قادرة على الوفاء بحاجات أهلها بما يوافق مستحدثات الحياة الجديدة، ولن يكون ذلك إلا من خلال دفعها باتّجاه التحرّر من آثار عصور الانحطاط من جهة ومن التقليد الأجنبي والعجمة الجديدة التي أورثنا إيّاها عصر الاستعمار والنفوذ الأجنبي من جهة أخرى. إنّ المطلوب تكوين وعي لغوي صحيح يساير وعينا الفكري والسياسي، ويساهم في الوحدة اللغوية والتحرّر اللغوي والقضاء على التجزئة والنفوذ الأجنبي في ميدان اللغة والفكر. وعي يمكّننا من الاهتمام باللغة العربية والحرص على تنميتها وجعلها لغة علم وعمل توظّف في شتّى المجالات ويعيننا على تعميمها بحيث تكون لغة البيت والشارع والمؤسّسات بما فيها المؤسّسات الإعلامية. ولأجل تحقيق هذه المرامي السامية نورد بعض المقترحات:

ـ تصحيح مناهج كلّيّات الإعلام، وإقرار إدخال اللُّغة العربيَّة إليها بكثافة، بحيث تكون مواد اللُّغة العربيَّة في تلك الكليات إحدى معايير الجودة.

ـ عناية الهيئات الإذاعية بتقديم عدد مكثَّف من البرامج الَّتي تُعنى بشؤون اللُّغة العربيَّة، والحرص على استعمال لغة فصيحة ترقى إلى مستوى رفيع في كلّ الحصص الإذاعية.

ـ تنظيم مهنة المدقّق اللغوي وضبطها بقوانين خاصّة لتحقيق ذلك التنظيم، وحماية المهنة من الدخلاء، وحفظ الحقوق للمشتغلين بها؛ تشجيعاً للمؤهَّلين وأصحاب السليقة اللغوية العاملين في المجال.

ـ تفعيل التعاون بين أقسام اللُّغة العربيَّة في الجامعات من ناحية، وبين الجامعة والهيئات الرسمية للدولة ووسائل الإعلام من ناحية ثانية.

ـ تقديم برامج للأطفال باللغة العربية السليمة باعتبار هذه الفئة من المجتمع هي الفئة الأكثر قابلية للاستيعاب، وذلك بغية إعداد جيل يحبّ لغته ويحسن استعمالها.

ـ بذل أقصى جهد ممكن لضمان أن يتحدّث أهل الإعلام بالعربية الفصحى، والاجتهاد في مهمّة تجديدها وربط مفرداتها بكلّ ما يطلّ برأسه من مستحدثات ومخترعات وابتكارات ومعارف جديدة.

ـ خضوع المرشّحين لوظيفة "إعلامي" إلى امتحانات تثبت مستواهم اللغوي وقدراتهم الشخصية.

ـ خضوع الإعلاميين إلى دورات تكوينية يؤطّرها مختصّون لغويون.

ـ إصدار معجم إعلامي شامل يضمّ الأعلام العربية والأعجمية، والألفاظ والعبارات التي يحتاج إليها الإعلامي أكثر من غيرها. وكذلك الأخطاء التي تشيع بين الإعلاميين، مع بيان علّة الخطأ وصورة الصواب.

ـ مراقبة الإعلانات مراقبة جادة، وعدم السماح بعرضها إلا إذا كانت بالعربية الفصحى، ملتزمة بعدم الخروج عن ديننا، وقيمنا الروحية والأخلاقية.

ـ تطوير البرامج الدينية لتستوفي العناصر الجمالية الفنية في الإخراج، ذلك لأنّ هذه الأخيرة تعدّ من البرامج الأكثر استقطاباً للمستمعين وبالتالي يقع على عاتقها المساهمة في تحسين المستوى اللغوي لدى متتبّعيها.

ـ إحياء مجمع اللغة العربية وتفعيله بحيث يصبح وسيلة لقياس جودة الأداء الغوي في وسائل الإعلام.

ـ نشر أطروحات المجمع اللغوي على أوسع نطاق حتى لا تبقى حبيسة الكتب والمجلات المتخصصة التي لا يسمع بها إلا الأقلّية. وعلى وسائل الإعلام أن تتلقف كلّ جديد يصدره المجمع من ألفاظ الحضارة، وتقدّمه للناس بصورة دائمة منتظمة.

ولن تتحقّق هذه الخطوات الّتي من شأنها الحفاظ على اللغة العربية والرقي بها إلاّ تضافرت الجهود، وتوفّرت الإرادة السياسية، وعمل أهل الحلّ والربط على تطبيقها في أرض الواقع.

الخاتمة

تنهض وسائل الإعلام العصرية بدور كبير وخطير في لغتنا، وحياتنا الثقافية؛ إذ يمكنها ـ إن نحن أحسنّا استثمارها، وتوظيفها بشكل واع، ومدروس، وهادف ـ أن تحدث تغييراً إيجابياً في واقعنا اللغوي، كما يمكن لها أن تمثّل منبعاً ثرّاً لتنمية الثروة اللغوية بين عامّة الشعب، وهي السبيل الأمثل لتوحيد نطق المفردات، والتقريب بين اللهجات، وربّما إحلال الفصحى المبسّطة محلّ العامية السائدة. ولن يتمّ ذلك إلا عن طريق:

ـ ضبط النشاط الإعلامي بطريقة تمكّنه من خدمة اللغة العربية و الارتقاء بها.

ـ المتابعة المستمرة لأنشطة المجامع اللغوية ومراكز التعريب وتوظيف جديدها إعلامياً حتى تجد هذه المفاهيم طريقها للذيوع الجماهيري، و ابتكار مصطلحات عربية تواكب التطور المعرفي والتقني للحضارة المعاصرة.

ـ خضوع الإعلاميين لدورات تكوينية تعينهم على التحكّم في قواعد اللغة العربية، وبالتالي الحدّ من شوائب الخطأ اللغوي.

ـ توحيد المصطلحات الإعلامية و إعادة الإنسجام للنسيج اللغوي، ذلك لأنّ الدفاع عن اللغة الوطنية هو دفاع عن الوجود الحضاري المتميّز للشخصية الوطنية. وأنّ سيادة أمّتنا من سيادة لغتنا الوطنية، فلا أمّة من دون لغة وطنية، ولا تاريخ ولا حضارة إلاّ من خلال هذه اللغة. ثمّ إنّ اللغة العربية لا تقف عند حدّ القومية بل هي لغة القرآن والدّين، وهي سجلّ ماضينا وحاضرنا ووعاء ثقافتنا. لذا على لغة الإذاعة، وهي اللغة المشتركة، أو اللغة العربية الفصحى ـ بما تتسم به من سرعة، ومباشرة، ودافعية ـ أن تعمل بالتدريج على تحقيق هذا الدور الكبير والعظيم.

❁❁❁

المصادر والمراجع

١. الإبراهيمي، محمّد البشير. (٢٠٠٧ م). ***عيون البصائر***. الجزائر: شركة دار الأمّة للطباعة والنشر و التوزيع.

٢. **البصائر**. (١٩٤٨م). السلسلة ٢. العدد٤١.

٣. بدوي، سعيد. (١٩٨٤م). ***مستويات العربية المعاصرة في مصر***. القاهرة: دار المعارف.

٤. بن عبد الله، عبد العزيز. (١٩٨٦م). ***التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية***. بحوث ومناقشات الندوة الفكرية الّتي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. (ط٢). لبنان.

٥. سالم، رشاد محمد. (٢٠٠١ م). ***ضعف الأداء اللغوي في وسائل الإعلام، أسبابه وعلاجه***. الشارقة: جمعية حماية اللغة العربية.

٦. سعد الدين، محمد منير. (١٩٩٥م). ***دراسات في التربية الإعلامية***. بيروت: المكتبة المصرية.

٧. سعدي، إبراهيم. (٢٠١٣م). ***في إشكالية التواصل اللغوي: الجزائر نموذجاً***. عن الشبكة العنكبوتية.

٨. شرف، عبد العزيز. (٢٠٠٠م). ***علم الإعلام اللغوي***. بيروت: مكتبة لبنان.

٩. ــــــــــــــ. (١٩٩١م). ***اللغة الإعلامية***. بيروت: دار الجيل.

١٠. ــــــــــــــ. (١٩٨٩م). ***وسائل الإعلام ولغة الحضارة***. القاهرة: مؤسسة مختار للطبع والنشر.

١١. شريط، عبد الله. (١٩٨٣م). «الأديب العربي والشعب». ***مجلّة الأصالة***. الجزائر، العدد١٣، ص٥٤.

١٢. الصانع، فائز. (١٩٩٢م). ***اللغة والتعريب و دور الإعلام***. دمشق: دار مجلّة الثقافة.

١٣. قادري، حسين. (٢٠٠٤ م). «دور وسائل الإعلام في تعميم اللغة العربية في الجزائر». ***مجلة العلوم الإنسانية***. العدد الخامس، جامعة خيضر بسكرة.

١٤. قميحة، جابر. (١٤١٨م). ***أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية فياللغة العربية***. المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي.

١٥. فكار، عثمان. (٢٠٠٨م). «مكانة اللغات في الواقع السوسيولغوي الجزائري». ***مجلة دراسات نفسية وتربوية***. العدد٣. الجزائر: دار منشورات جامعة البليدة.

١٦. عبد الحليم، محيي الدين. (٢٠٠٢م). ***العربية في الإعلام الأصول والقواعد والأخطاء الشائعة***. القاهرة: دار الشعب.

١٧. العربي الزبيري، محمد. (٢٠٠٦). «نكبة التعريب في الجزائر». ***جريدة الشروق اليومي***.

١٨. غربي، علي. (٢٠١٠م). ***الثقافة الوطنية وتحديات العولمة: العولمة والهوية الثقافية***. مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة. الجزائر: جامعة قسنطينة.

١٩. معوض، محمد. ***دراسات في الإعلام الخليجي***. بيروت: دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٠م.

٢٠. المقدسي، صفوان. (١٩٧٦م). «اللغة العربية والعصر». ***مجلّة المعرفة***. دمشق. العدد ١٧٨. وزارة الثقافة و الإرشاد القومي.

٢١. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (د.ت). ***من قضايا اللغة العربية المعاصرة***. إدارة الثقافة.

اللقاءات الشخصية:

٢٢. قسم الإعلان والإشهار، "الإذاعة الوطنية بتلمسان" مسؤولة الإعلان، ربيع الأوّل ١٤٣٥هـ/ يناير ٢٠١٤م.

٢٣. قسم الأخبار، "الإذاعة الوطنية بتلمسان" رئيس التحرير، بيع الأوّل ١٤٣٥هـ/ يناير ٢٠١٤م.

٢٤. قسم التنشيط والبرمجة، "الإذاعة الوطنية بتلمسان"مسؤولة التنشيط، ربيع الأوّل ١٤٣٥هـ/ يناير ٢٠١٤م.

٢٥. قسم التنشيط والبرمجة، "الإذاعة الوطنية بتلمسان" منشّط، ربيع الثاني ١٤٣٥هـ/ فبراير٢٠١٤م.

٢٦. جامعة تلمسان، مقابلة أساتذة، طلبة، إطارات، ربيع الأوّل ١٤٣٥هـ/ يناير٢٠١٤م.

٢٧. ولاية تلمسان ، مقابلة شريحة غير المتعلّمين، ربيع الأوّل ١٤٣٥هـ/ يناير٢٠١٤م.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی